اختلاف الهويات الاثنية في العراق وأثر العامل الخارجي في خلافاتها ما بعد ٢٠٠٣

الكلمات المفتاحية : اختلاف، الهويات، خلافاتها

م. ايمن عبد عون
جامعة ديالى
كلية القانون والعلوم السياسية
Aymanabd12@gmail.com

م.د. سامي احمد صالح
الجامعة العراقية
كلية القانون والعلوم السياسية
samicalawy@gmail.com

الملخص

بسبب وفرة مياهه وخصوبة ارضه واعتدال مناخه كان العراق منذ فجر التاريخ قبلة للأقوام المهاجرة بحثا عن الماء والكلأ، وكانت سهوله التي توسدت ضفاف رافديه مهدا لأولى الحضارات وأرقاها. وفي الوقت ذاته، أغرى العراق الطامعين بالمال والسلطة في غزوه وسلب خيراته، وبذلك كان بودقة تنصهر فيها الأقوام والحضارات لتنتج هويات اثنية مختلفة تآخت مرات وتصارعت مرات أخرى راسمة تاريخا يتلون بلوني الشمس والدم.

ويهدف هذا البحث الى تصنيف تلك الهويات واختلافها عن بعضها البعض ودراسة العوامل التي أدت الى نشوئها وصمودها في وجه الصعاب التي مرت بها. ثم يحاول البحث دراسة المكونات الاثنية لعراق اليوم والأسباب التي أدت الى اندلاع موجة العنف الطائفي التي حصدت عشرات الآلاف من الأرواح في السنوات العجاف التي أعقبت سقوط النظام البعثي على أيدي القوات الأميركية. ويميز البحث بين نوعين من الهويات التي تشكلت في العراق عبر تاريخه الطويل؛ الأول هو هويات أصيلة ضاربة في القدم ويصعب جدا الوقوف على اصلها (كالصابئة والأيزيدية) والثاني هو هويات مُستحدثة اوجدتها ظروف سياسية استثنائية (كالشيعة والسُنّة). ويستنتج البحث ان صراع الهويات المستحدثة أشد وأعنف بكثير من صراع الهويات الأصيلة التي تقلصت كثيرا مع مرور الزمن. ويحدد البحث عاملين أساسيين لديناميكية الصراع الإثني هما: المشارب الأيديولوجية للمكونات الاثنية، وميزان القوى البشرية والسياسية والعسكرية بينها. ولا يقلل البحث من الدور الأساس الذي تلعبه القوى الإقليمية والدولية في تأجيج الصراعات الاثنية في البلدان التي

تعدها ضمن مناطق نفوذها السياسي. ويؤكد البحث ان تغليب الهوية الوطنية على بقية الهويات الإثنية وإزالة كل أسباب التوتر والصدام بين تلك المكونات يمثّل شرطا أساسا لتحويل التنوع الإثني في العراق الى عامل قوة ووحدة عوضا عن كونه عامل ضعف وتشظي.

المقدمة

كثيرا ما يتباهى العراقيون بان تنوعهم الإثني والديني يشبه الفسيفساء في جماله وبريق ألوانه أو الطيف الشمسي بروعته وبهائه، وينسون أو يتناسون ان اللون الاحمر لا غير، لون الدم القاني كان الطاغي على جميع ألوان تلك الفسيفساء أو ذلك الطيف الشمسي لفترات طويلة امتدت لقرون وعقود. ويغض العراقيون الطرف أو يتغاضون عن آلاف وآلاف من أحفاد مؤسسي العراق وبناة أولى حضاراته وهم يشدون الرحال بعيدا عن وطنهم بعد ان ضاقت عليهم أراضيه.

ابتعدوا وهم يبكون أعزاء لهم سقطوا صرعى بسبب ما ورثوه عن آبائهم وأمهاتهم من عرق أو دين أو مذهب. رحلوا ولسان حالهم يقول وداعا يا عراق.

ولا يعني الرحيل عن العراق كرهه. وقد صدق الشاعر النوّاب حين قال:

"ما أظن ارضا رُويت بالدم والشمس كأرض بلادي
وما أظن حزنا كحزن الناس فيها
لكنها بلادي
لا أضحك من القلب
ولا أبكي من القلب
ولا أموت من القلب الا فيها".

ولا ضير ان نحلم بعراق جميل رغم كل ما جرت وتجري فيه من أهوال. وما أجمل "أوسكار فيلد" حين يقول:

"كلُ منا يتمرنح في الوحل
ولكن منّا من يتطلع الى النجوم من وحله".

ما حلّ بالعراق بعد عام (٢٠٠٣) كان مروعا بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى. قُتل الصابئي والأيزيدي والمسيحي لانهم لا يشهدون ان محمدا رسول الله، وقُتل الشيعي لأنه

يشهد ان عليا ولي الله، وقُتل السني لأنه يعتقد بخلافة أبي بكر وعمر وعثمان. قُتل هؤلاء في بلاد تتلو الغالبية العظمى من سكانها قرأنا تقول أحدى آياته: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ ﴿٣٢﴾﴾ (المائدة ٣٢). فكم من مرة قُتل الناس جميعا في أرض العراق!

ما الهويات الإثنية السائدة في المجتمع العراقي؟ وما العوامل التي أدت الى نشوئها وتطورها؟ وما أسباب اندلاع العنف الطائفي في عراق ما بعد ٢٠٠٣؟

وهل بالإمكان جعل التنوع الاثني في العراق عامل قوة وازدهار عوضا عن كونه عامل ضعف وتدهور؟

في هذا البحث سنحاول الاجابة عن هذه الاسئلة.

وسيكون البحث بحثا نوعيا، أي انه يعتمد على نظريات مسبقة في ميدان الصراعات الإثنية. وبالاستناد الى تلك النظريات يشتق البحث فرضيات تتعلق بجوهر المشكلة ومن ثم اختبار كل فرضية من تلك الفرضيات في ضوء معطيات الصراع لإثبات صحتها أو فشلها في الإجابة على تساؤلات البحث. وسيفترض البحث ان:

١. الصراع الاثني في عراق ما بعد ٢٠٠٣ هو صراع هويات إثنية (مستحدثة) وليست أولية أو أصلية.
٢. إن الدول المجاورة للعراق، والولايات المتحدة تسهم في تعميق الصراع الاثني في العراق وليس في انهائه.
٣. إن الديمقراطية الحقيقية (وليست التوافقية) هما أفضل الخيارات المتاحة أمام العراقيين لتحويل تنوعهم الاثني الى عامل قوة وازدهار بدلا من عامل ضعف وتدهور.

المبحث الاول : مفهوم الهويات الاثنية وتكوينها في المجتمع العراقي

اولاً: الهوية الاثنية

مصطلح "إثنية" مشتق من الكلمة اليونانية "Ethnos" التي تعني جماعة، ناس أو قبيلة. ويعرف عالم الاجتماع، جورج دي فوس (George De Vos) المجموعة الإثنية بانها مجموعة من البشر تشترك في جملة من التقاليد التي لا يشاركهم فيها غيرهم ممن حولهم[١]، ويعرف الباحث الاميركي التركي الأصل، فاميك فولكان (Vamik Volkan) الهوية الإثنية بأنها عشرات الآلاف أو الملايين من البشر، لم يلتق معظمهم ببعضهم البعض في حياتهم، يشتركون في احساس دائم بالتجانس[٢]. ولعل أشهر من عرّف المكوّن الإثني هو عالم الاجتماع البريطاني انطوني سميث (Anthony Smith) (١٩٣٢-٢٠١٦). يقول سميث ان المكوّن الإثني هو مجموعة من البشر يشترك أعضاؤها في اسم واحد وأصل واحد وثقافة واحدة ولغة واحدة وتاريخ مشترك ودين ورقعة جغرافية [٣]، ويُعد هذا التعريف من التعاريف الشاملة التي تنطبق على معظم الهويات والمكونات الإثنية في العالم وذلك لكثرة ما يعتمده من عناصر لبناء المفهوم.

كثيرة هي النظريات التي حاولت ان تُحدد مفهوم الهوية الإثنية وعملية تشكيلها ومن ثم الأسباب التي تؤدي الى صراع دام ومرير بين المكونات الإثنية والعوامل التي تغذي هذا الصراع وتسهم في تعقيده وديمومته. وقد استحوذت نظريتا "الإثنية الأصيلة أو الدائمة" (Primordial Ethnicity) و "الإثنية الذرائعية" (Instrumental Ethnicity) على اهتمام الكثير من الباحثين في أصل وتطور النزاعات الإثنية. ويذهب أصحاب النظرية الأولى الى ان الهويات الإثنية متأصلة في التاريخ ولحامليها خصائص بيولوجية وسيكولوجية ثابتة وغير قابلة للتبديل ويسعى حاملوها الى الإبقاء على اصالتها ومقاومة تغييرها الى الحد الذي يجعلهم يوسمون أجسادهم برموزها. ويؤكد أصحاب هذه النظرية على ان السمات الإثنية تنتقل الى أبناء وأحفاد أعضاء المجاميع كما تنتقل الجينات الوراثية وهذا هو سبب ديمومتها وأصالتها[٤]. وتتميز الهويات الأصيلة، وفقا لرأي الاكاديمي، كانشان

شاندرا (Kanchan Chandra) بانها ثابتة وعصية على التغيير رغم تغير الظروف المحيطة بحامليها وهذا ما يمنحها صفة الأصالة[٥].

ويذهب أنصار النظرية الذرائعية (Instrumentalism) الى ان الأفراد يغيرون هوياتهم الإثنية أو الاجتماعية وفقا لمصالحهم، وان العديد من القادة يتخذون من السياسات الإثنية وسيلة لتحقيق مصالحهم الذاتية[٦]. فقد تبنى العثمانيون، على سبيل المثال، المذهب الحنفي دون غيره من المذاهب الإسلامية بسبب تجويز الأمام أبي حنيفة الخلافة في غير القريشيين على ما ذهب اليه الدكتور علي الوردي في مؤلفه الشهير "لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث"، الجزء الأول[٧]. وكذلك كان اعتناق اسماعيل الصفوي للمذهب الشيعي محاولة لكسب ود شيعة العراق وتوظيفهم في صراعه ضد العثمانيين على بلاد الرافدين.

وهناك فريق ثالث يمزج بين نظرتي الفريقين السابقين ليستنتج ان الهوية الإثنية أو الاجتماعية ليست دائمة وأصيلة بشكل مطلق كما يدعي الفريق الأول، وليست مجرد وسيلة لتحقيق أهداف ذاتية كما يرى الفريق الثاني، وانما تتكون وفقا لمعطيات سياسية أو دينية أو اجتماعية محددة (socially construted)[٨]. وشخّص الاكاديمي Chandra ستة عوامل تؤثر بشكل جوهري في الهويات الاصلية وتحيلها الى هويات جديدة أو ما سأطلق عليها (مُستَحدَثة). وهذه العوامل هي: الحداثة، الادراك الجمعي، الحوافز، الوصاية الاجتماعية، العنف، والتهجين[٩]. فكثيرا ما تؤدي الأحداث العظمى الى انقسامات مجتمعية تقود بدورها الى تشكيل مجاميع إثنية جديدة عن طريق سلخها عن مجاميع قديمة. فالإسلام، على سبيل المثال، ضم في صفوفه أعراق وأجناس مختلفة ومنحهم هوية إثنية قوية وراسخة طغت على هوياتهم العرقية والقبلية السابقة. فولاء مسلمي البوسنة والهرسك للإسلام أقوى من ولائهم للعرق السلافي. ولم يسلم الإسلام كحال غيره من الأديان التي سبقته، كاليهودية والمسيحية، من انشقاقات أدت الى تكوين هويات فرعية كثيرة طالما اصطدم الكثير منها مع غيرها في صراعات دامية خلفت مئات الآلاف من الضحايا. وأورد الأمام البغدادي في (الفرق بين الفرق) والأمام الشهرستاني في

(الملل والنحل) حديثا عن النبي يقول فيه: "افترقت المجوس على سبعين فرقة، واليهود على أحدى وسبعين فرقة، والنصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، الناجية منها واحدة، والباقون هلكى"[١٠]. وبغض النظر عن صحة هذا الحديث فانه يشير بلا شك الى حالات الانقسام التي شهدها المجتمع الإسلامي منذ وفاة الرسول وحتى اليوم. وأدت حالات الانقسام تلك الى نشأة العشرات من الهويات الإثنية التي انقرض بعضها أو يكاد كالبابية[١١]، والكيسانية[١٢]، واليزيدية[١٣]، ومازال البعض الآخر كالشيعة والسنة والخوارج الإباضية الذين يقطنون عُمان ويُعدون من أكثر فرق الخوارج اعتدالا[١٤].

وكما اختلف الاكاديميون حول تصنيف الهويات الإثنية وخصائصها، اختلفوا كذلك حول الأسباب التي تؤدي الى نشوب صراعات بين المكونات الإثنية المختلفة التي قُدر لها ان تعيش جنبا الى جنب في رقعة جغرافية واحدة. ومع هذا هناك إجماع كبير بين الباحثين الاجتماعيين على ان الصراع الإثني يشتد ويزداد خطورة حين يأخذ الانقسام المجتمعي نمطا تسلطيا، بمعنى سيطرة مجموعة إثنية على بقية المجاميع. وهناك باعث قوي على الاعتقاد بان المجتمعات المزدوجة، كما هو الحال في رواندا أو سيريلانكا، حيث يكون الصراع على السلطة عبارة عن لعبة صفرية[١٥]، تعاني من معضلات إثنية عسيرة على الحل. وتتعرض المجتمعات التي تتسم بانقسام إثني عميق الى صراعات عنيفة في حال ظهور منظمات تسعى الى اختراق وتقسيم كل مؤسسات المجتمع على أساس إثني[١٦]. ويلاحظ دونالد هورويتز (Donald Horowitz) ان الانتماءات الإثنية تكون شديدة القوة وخارقة وانفعالية[١٧].

ويصنف الاكاديمي تيموثي سيك (Timothy Sick) المجتمعات المنقسمة إثنيا الى أربعة أنواع بغية تسهيل دراستها وتشخيص المخاطر التي تتعرض لها. وهذه الأقسام هي:

١. المجتمعات المتشظية، وهي تلك التي تضم أكثر من أربع مجاميع إثنية كبيرة، وليس بمقدور مجموعة واحدة فرض سيطرتها الكاملة على المجاميع الأخرى، ومثال ذلك الهند ونيجيريا وأفغانستان والعراق.

٢. مجتمعات متوازنة وتضم أربع مجاميع إثنية أو أقل ويكون الاستقطاب الإثني فيها ثنائي كما هو الحال في قبرص وايرلندا الشمالية، أو متعدد كما هو الحال في البوسنة ولبنان.
٣. مجتمعات ذات أقلية مهيمنة، وهي التي تستولي فيها أقلية إثنية على اهم مفاصل الحياة في البلد على حساب الأكثرية كما هو الحال في رواندا والبحرين والعراق (قبل ٢٠٠٣).
٤. مجتمعات ذات أكثرية إثنية مهيمنة على حساب أقليات كما هو الحال في تركيا وسريلانكا وروسيا[١٨].

وفي الوقت الذي تكون فيه مجتمعات النوع الأول أكثر المجتمعات تعرضا للعنف الإثني، تكون مجتمعات النوع الأخير اقلها عنفا واضطرابا سيما في حال وجود نظام ديمقراطي لا يهضم حقوق الأقليات. ولا بد من الإشارة الى ان هناك جملة من العوامل التي تلعب دوراً أساساً في تأجيج العنف الإثني أو اخماده واهمها:

١. طبيعة وأيديولوجية النظام السياسي الذي يحكم البلد.
٢. التوجهات الفكرية لزعماء المجاميع الإثنية.
٣. الإرث التاريخي للصراع الإثني.
٤. توازن القوى بين المكونات الإثنية.
٥. التدخلات الإقليمية والدولية في الصراعات الإثنية.

وعلى ضوء ما تقدم من نظريات وافتراضات يسعى هذا البحث الى تحليل اختلافات الهويات العراقية وخلافاتها.

ثانياً: التكوين الاثني للمجتمع العراقي

لا يختلف اثنان في ان العراق هو مهد الحضارات، ولا يختلف اثنان في ان خصوبة وادي الرافدين ووفرة مياهه واعتدال مناخه جعلت منه قبلة للباحثين عن الماء والكلأ سيما أولئك الذين قست عليهم صحراء شبه جزيرة العرب بندرة مياهها وشحة أمطارها وجفاف مناخها. وطالما بدت أرض العراق بباسق نخيلها وكثافته

سوداء للقادمين من جهة الجنوب الغربي فأطلقوا عليها اسم أرض السواد. ويلاحظ طه باقر ان بلاد وادي الرافدين، على عكس وادي النيل، كانت مفتوحة لهجرة الاقوام السامية، ومنها العربية، من شبه جزيرة العرب والبوادي الشمالية الغربية، وكذلك لهجرة الاقوام والجماعات التي تنحدر من اصول هندية–أوروبية من الاقاليم الشرقية والشمالية الشرقية، وبذلك شهدت أرض العراق عملية انصهار حضاري لأقوام كثيرة ومختلفة في بودقة حضارة وادي الرافدين [١٩]. وشهدت صراعات دامية بين من قدم اليها من وراء الصحارى والجبال طمعا بالأرض والسلطة، كما عبر عن ذلك جيف سيمونز (Geoff Simons)، كان للسومريين الفضل في قيام أول حضارة في العراق، وقد اختلف المؤرخون وعلماء الآثار في أصل السومريين والبلاد التي قدموا منها، وليس هناك ما يشير الى ان هذا الخلاف سيحسم في وقت قريب حيث لا وجود لأدلة مادية قاطعة حول أصل من وضع أولى اللبنات في صرح الحضارة العراقية[٢٠]. ورحل السومريون بعد ان اجتاح مدنهم الأكديون ليشيّدوا على انقاضها حضارة جديدة، يكاد يجمع الباحثون على ان الأكديين هم من الأقوام السامية التي نزحت من موطنها الأصلي في شبه الجزيرة العربية وأطراف الصحراء الغربية الى وادي الرافدين. وعلى عكس السومريين الذين لم يُعرف اصلهم، واتخذ الأكديون من أكد (قرب بابل) عاصمة لهم واليها يعود اسمهم. ولم تستمر دولة الأكديين الأولى في الحكم لأكثر من مئة سنة وبضعة عقود رغم عظمتها، فأسقطها الكوتيون القادمون من جهة الشرق ومن جبال زاجروس على وجه التحديد[٢١]. واستطاع أحد امراء مدينة الوركاء السومرية (أوتو حيكال) ان يقضي على الاحتلال الكوتي ويعيد السيادة من جديد لسومر وأكد على مساحات شاسعة من وسط وجنوب البلاد. وأقام الاشوريون في شمال العراق دولة هي الأخرى كان لها من القوة والعظمة ما استطاعت من خلالهما التأثير الكبير في ما حولها من دول ومدن، ولكن تحالفا بين الملك البابلي (نبو بو لا صر) والغزاة الميديين نجح في انهاء الدولة الاشورية في عام ٦١٢ ق. م.[٢٢]. ولم تتوقف الغزوات الخارجية للعراق بل استمرت لعهود طويلة حيث تعرضت البلاد لغزو أقوام أخرى من الشرق والغرب حتى انتهت بسيطرة فارسية على معظم أرجاء العراق.

وبسقوط الامبراطورية الساسانية على أيدي المسلمين في النصف الأول من القرن السابع الميلادي اكتسب العراقيون هوية جديدة ما تزال هي الأقوى في كل تاريخه وهي الإسلام. وانقسم المسلمون بدورهم الى فرق كثيرة، تلاشت الغالبية العظمى منها مع مرور الزمن والأحداث الدامية ولم يبق منها الا فرقتان كبيرتان هما الشيعة الإمامية الاثنا عشرية والسُنّة. وتفرعت السُنّة الى أربعة فروع (الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية) وجميعها تتفق على اصول الإسلام وتختلف في فروعه وتفاصيله.

أمّا عرقيا، فينقسم المجتمع العراقي الى ثلاثة مكونات عرقية كبيره هي؛ العرب ويقطنون في المناطق الوسطى والجنوبية، والكرد في الشمال الشرقي، التركمان وغالبيتهم في مدينتي كركوك وديالى، ومكونات اخرى صغيرة. وبالرغم من ان غالبية الكرد من السُنّة، لا يُعدون من القوى السنيّة لان ولاءهم القومي أكبر بكثير من ولائهم المذهبي، ومرد ذلك الى ما عانوه من قمع واضطهاد بسبب المطالبة بحقوقهم القومية.

وبهذا يمكن عَدَّ المجتمع العراقي من المجتمعات المتنوعة لأنه يضم أكثر من اربعة مكونات إثنية (عرب شيعة، عرب سُنّة، كرد، تركمان، مسيح، أيزيديين)، وليس بمقدور واحد من هذه المكونات فرض سيطرته الكاملة على بقية المكونات.

وعلى ضوء هذه المقدمة السريعة عن تاريخ العراق القديم يكون بوسعنا الآن تصنيف الهويات الإثنية العراقية ودورها في الصراع الإثني الذي وسم تاريخ العراقيين قروناً عديدة.

المبحث الثاني : الهويات الاثنية الاصلية والمستحدثة في المجتمع العراقي

اولا: الهويات الاصلية

الصابئة:

يعود أصل كلمة صابئة الى الفعل الثلاثي (صبأ) ويعني باللغة الآرامية انغمر في الماء أو تعمد. وأُطلقت هذه التسمية على أتباع هذه الديانة بسبب ممارستهم التعميد الذي يُعد طقسا أساسياً من طقوسهم الدينية. أما المندائية التي طالما ترافق كلمة الصابئة وترادفها فهي أيضا مفردة آرامية (مندا) وتعني علم أو معرفة لاهوتية[٢٢]، وهي واحدة من أقدم المكونات

الإثنية في وادي الرافدين وتعد من الهويات الأصيلة في المجتمع العراقي وذلك لأن جذورها ضاربة في القدم، وهي مستقلة بذاتها وليست متفرعة من ديانة أخرى ومن العسير جدا تقفي آثار نشوئها وتطورها. ويُرجع المؤرخ المسعودي في مؤلفه "التنبيه والاشراف" أصل الصابئة الى البابليين. ورغم ما يجده الدكتور رشيد الخيون من تشابه كبير بين معابد الصابئة ومعابد البابليين وطقوسهم الدينية لا يُسلّم لنظرية المسعودي بشكل مطلق. فالخيّون يرى ان مصطلح "الصابئة" أُطلق على العديد من الديانات القديمة التي عرفها الكلدانيون واليونانيون والرومان والهنود والفرس والقبط وغيرهم [٢٤]، ويذهب الدكتور صباح مال الله الى ان لا أحد يعلم على وجه التحديد متى ظهر الصابئة المندائيون في العراق القديم، ولكن اسمهم ارتبط بالنبي ابراهيم الخليل الذي عاش في مدينة أور السومرية، مدينة آلهة القمر نانا، منتصف الالف الثالث قبل الميلاد، وكان ابراهيم عليه السلام أول من نبذ الاصنام ودعا لرب واحد عظيم القدرة، وقد آمن الصابئة المندائيون بتعاليمه واحتفظوا بصحفه ومارسوا طقوس التعميد التي سنها لهم واستمروا عليها الى يومنا هذا[٢٥]. ويبلغ تعداد صابئة العراق اليوم ٨-١٠ آلاف فرد بعد ان كان تعدادهم حوالي ٣٥ الف فرد قبل سقوط النظام البعثي في عام ٢٠٠٣[٢٦].

الصابئة ديانة توحيدية تؤمن باله واحد هو خالق كل شيء وقادر على فعل كل شيء. وقد وردت الكثير من النصوص في أهم كتبهم المقدسة، كنزا ربا (الكنز العظيم) التي تؤكد عقيدتهم التوحيدية. فقد جاء في أولى صحف هذا الكتاب الذي يعتقد الصابئة انه أُنزل على آدم: "هو الحي العظيم، البصير القدير العليم، العزيز الحكيم، هو الأزلي القديم، الحنّان التوّاب الرؤوف الرحيم، ..... موجود منذ القدم، باق الى الابد"، وجاء في الكتاب نفسه والصحيفة عن الملائكة: " قال للملائكة كوني فكانت،... بقوله ملائكة النور كانت، .... جميعهم خاشعون، لله يسبّحون، الله ملك النور السامي، ملك الملائكة والأُثريين، مسبَّح اسمه الى أبد الآبدين"[٢٧]. الا ان هذا لم يمنع من تعرضهم لاتهامات كثيرة توسمهم بالشرك والكفر والشعوذة وعبادة الكواكب وغيرها، حتى عدّهم بعض مخالفيهم من بقية الأديان من الأعداء الواجب قتالهم. كما لم تمنع الآيتان القرآنيتان (البقرة ٦٢، والمائدة ٦٩) [٢٨]، اللتان جمعتهما مع الذين آمنوا وأهل الكتب، من هدر دمائهم بفتاوى من بعض فقهاء المسلمين عبر العصور. ولعل أقسى تلك الفتاوى هي فتوى القاضي أبي سعيد الحسن بن يزيد الاصطخري الذي أفتى للخليفة العباسي (القاهر بالله) بإراقة دمائهم باعتبارهم من عبدة الكواكب[٢٩]،

ويذهب الكاتب عزيز سباهي الى افتراض ان انطواء الصابئة على انفسهم ومنع الاخرين من الاطلاع على كتبهم الدينية وحجب الكثير من معتقداتهم عن غيرهم أدى الى اجتهادات خاطئة في تفسير تلك المعتقدات على نحو مغاير للحقيقة[٣٠]، وتبدو هذه الفرضية ضعيفة لا سيما وان العديد من فقهاء المسلمين، قديما وحديثا، أجازوا اخذ الجزية من الصابئة مما يعني عدّهم من أهل الكتب الذين تحرم دماؤهم. فقد ذهب الإمام أبو حنيفة الى "أنّ الصّابئة من أهل الكتاب لأنّهم يقرؤون الزّبور، ولا يعبدون الكواكب، ولكن يعظّمونها كتعظيم المسلمين الكعبة في استقبالها". وذهب المالكيّة إلى أنّهم موحّدون معتقدون بتأثير النّجوم، وهم ليسوا أهل كتاب، وتؤخذ منهم الجزية، لأنّها تقبل من غير أهل الكتاب عند مالك. وذهب الشّافعيّ إلى أن يُنظر فيهم، فإن كانوا يوافقون أحد أهل الكتابين في تديّنهم وكتابهم فهم منهم، وإن خالفوهم في ذلك فليسوا منهم، فتؤخذ منهم الجزية إذا أقرّ النّصارى بأنّهم منهم ولم يكفّروهم، فإنّ كفّروهم لم تؤخذ منهم الجزية. وذهب أحمد في رواية إلى أنّهم من النّصارى، لأنّهم يدينون بالإنجيل[٣١]، وعدّهم الماوردي من أهل الكتاب[٣٢].

أما في العصر الحديث، فقد جاء في تفسير آية الله محمد حسين الطباطبائي للآية ٦٢ من سورة البقرة: "إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون": "الصابئون هم قوم يقرون بالله واليوم الآخر وببعض الانبياء، ولكنهم يعتقدون بتأثير بعض النجوم في الخير والشر"[٣٣]، وذهب الكثير من علماء الشيعة كالإمام الخوئي وآية الله محمد حسين فضل الله ومحمد جواد مغنية والخامنئي الى اعتبار الصابئة أهل كتاب، ورأى البعض منهم كالإمام الخميني وآية الله حسين منتظري انهم ليسوا كذلك[٣٤].

ومما لا شك فيه ان الآراء المتطرفة حول هذه الفرقة ساهمت الى حد كبير في تعرضهم لحملات الابادة في الماضي والحاضر على حد سواء. فبعد سقوط نظام "البعث" في نيسان من عام ٢٠٠٣ وتدهور الوضع الأمني بشكل مريع لم يسلم الصابئة من عمليات القتل والتهجير التي طالت الكثير من العراقيين على أيدي المنظمات والجماعات الإرهابية التي وجدت في فقدان الأمن وغياب حكومة مركزية قوية أرضا خصبة لزرع الكراهية والحقد في بلاد الرافدين. واذ استطاعت بعض المكونات الإثنية الدفاع عن نفسها لم يستطع الصابئة ذلك بسبب قلة عددهم الذي لا يتجاوز بضعة آلاف من الأفراد، وكذلك بسبب ما تعلموه

جيلا بعد جيل من عدم اللجوء الى السلاح والجنوح الى السلم في العلاقة مع من يشاركوهم الأرض والمياه. أما الجماعات الإرهابية التي تتكأ على مكونات إثنية كبيرة وتدعي تمثيلها، وتتسلح بأسلحة فتّاكة وفتاوى تكفيرية، فقد وجدت في الصابئة فريسة يسهل التهامها، لا سيما في ظل تدهور أمني شديد وحكومة مركزية ضعيفة. وأشارت الإحصاءات التي ذكرتها الرابطة الوطنية للمندائيين إلى حجم العنف والجرائم المرعبة التي تعرض لها الصابئة خلال المدة من أكتوبر ٢٠٠٣ إلى آذار ٢٠٠٦ ومنها مقتل ٥٠٤ منهم وخطف ١١٨ ومغادرة ٤٦٦٣ عائلة إلى خارج العراق وكان عدد العائلات الباقية في العراق شهر آذار من عام ٢٠٠٦ فقط ١١٦٢ في حين كان عدد عائلاتهم في بغداد وحدها قبل الغزو ١٦٠٠ عائلة لم يبق منهم حتى ابريل ٢٠٠٦ سوى ١٥٠ عائلة[٣٥]، وهذا يعني بوضوح ان العراق على وشك ان يفقد واحدا من أعرق مكوناته الإثنية.

الأيزيدية :

كما الصابئة، يُعد الأيزيديون أنفسهم طائفة موجودة منذ الأزل ومن نسل آدم وحده، ويتواجدون اليوم بشكل أساس في شمال العراق وشمال سوريا يبلغ تعدادهم زهاء النصف مليون، والأيزيدية، كما هو حال الصابئة أيضا، ليست ديانة تبشيرية ولا يمكن الانتماء اليها الا بالولادة من أبوين أيزيديين، وبهذا تُعد من الهويات الإثنية الأصيلة التي لم تتفرع عن واحدة سبقتها(٣٦).

ان أصل تسمية هذه الفرقة هو أيضا محط خلاف بين الباحثين في شأن الأديان والمذاهب. فهناك من نسب الأيزيديين الى يزيد بن معاوية وهذا لا يصح بسبب وجود الفرقة قبل يزيد بن معاوية بمئات السنين. وذهب أبو الحسن الاشعري وعبد القاهر البغدادي ومحمد بن عبد الكريم الشهرستاني الى ان أصل التسمية يعود الى يزيد بن أُنيسة الخارجي(٣٧)، وهذا لا يصح أيضا لنفس السبب. ولعل الصواب هو في رأي الباحث شاكر خصباك الذي رجح نسب الفرقة الى (ئيزدان) أو (أيزد) وهي من الاسماء التي تُطلق على الذات الالهية(٣٨).

وعلى خلاف المسلمين الذين يؤمنون بان الله غضب على إبليس لرفضه السجود لآدم، يؤمن الأيزيديون ان الله كرّم ابليس لأنه رفض السجود لغيره، وهذا ما جعلهم يحيطوه بهالة من القدسية. ويعتقد الأيزيديون كذلك ان ابليس هو الملك

الوحيد الذي يسيطر على الأرض بصورة مباشرة، والذي يستطيع ان يصيب الانسان بأفدح الأضرار، وعليه لا مناص من الاعتراف بسلطته وتجنب سخطه(٣٩)، ومن معتقداتهم أيضا ان هناك سبع أرواح تنبثق من الإله ئيزدان، أعظمها هو الملَك طاووس، المنفذ الفاعل للمشيئة المقدسة. وكان الطاووس في المسيحية القديمة يرمز إلى الخلود، لأن لحمه لا يفسد. ويُعد الملك طاووس عند الأيزيديين تجسيدا لذات الإله ولا ينفصل عنه، لذا فإن تلك الديانة تُعد من الديانات التوحيدية. ويصلي الأيزيديون إلى الملك طاووس خمس مرات يوميا، كما أن عندهم له تسمية أخرى هي "الشيطان" وهذا ما جعل الكثيرين يطلقون عليهم اسم "عبدة الشيطان". وكان لهذا اللبس في فهم عقائد الأيزيديين الأثر الكبير في نيل سخط غيرهم من الفرق، فقد نالهم سخط المتطرفين من المسلمين، حيث سخط عليهم البعض بسبب اعتقادهم بانتمائهم الى يزيد قاتل الامام الحسين بن علي، وسخط عليهم البعض الاخر لتقديسهم ابليس لعنة الله عليه، وللاعتقاد الخاطئ بانتسابهم الى مدينة يزد الايرانية.

وبسبب قلة عددهم نسبة الى المكونات الإثنية الأخرى المحيطة بهم، كالعرب والكرد والترك، تعرض الأيزيديون عبر تاريخهم الطويل الى مذابح وحملات ابادة جماعية وتهجير حصدت ارواح الآلاف من أبناء تلك الطائفة وشتتت آلاف أخرى في الوديان وسفوح الجبال الباردة. وقد أحصى الدكتور علاء الجوادي اثنتين وسبعين حملة إبادة جماعية تعرض لها الأيزيديون في العراق بعد اتهامهم بالكفر والمروق على الدين، رغم انهم ينفون ذلك بشدة، مؤكدين انهم مؤمنون بالله، ويؤكدون ان النبي ابراهيم هو جدهم الكبير. وكانت أولى تلك الحملات في عهد الخليفة العباسي المعتصم في عام ٢٢٤ هـ. وآخرها في عام ٢٠١٤ م. على أيدي عصابات داعش الإرهابية. وبين أول حملة وآخرها تقع العشرات من الحملات التي كان للعثمانيين حصة الأسد منها(٤٠). وكما هو حال من سبقهم من الخلفاء والسلاطين، عمل السلاطين العثمانيون على تعزيز حملات الإبادة التي شنّوها ضد الأيزيديين بفتاوى تبيح قتلهم. وكانت أول فتوى صدرت بحقهم هي فتوى الشيخ أحمد بن مصطفى أبو السعود العمادي (٨٩٦-٩٨٢ هـ) والذي تولى منصب

الإفتاء عام ٩٥٢ هـ ولمدة ثلاثين عاما في عهد السلطان سليمان القانوني والسلطان سليم الثاني وأباح بموجب الفتوى قتالهم وسبي نسائهم وذراريهم، ووصفهم بأنهم أشد كفراً من الكفار الأصليين وأن قتلهم من الواجبات الدينية وعدّهم من المرتدين عن الإسلام. وقد ذكر في حيثيات الفتوى أن سبب قتالهم هو بغضهم للأمام علي بن أبي طالب والأماميين الحسن والحسين(ع)، وكذلك استحلالهم قتل العلماء والمشايخ ورؤساء الدين والاستهزاء بكتاب الله المجيد وبالكتب الشرعية وهم أشد كفراُ من الكفار الأصليين وأن قتلهم حلال في المذاهب الأربع". وبسبب التدهور الأمني الذي ساد العراق بعد سقوط النظام البعثي وجد الأيزيديون انفسهم بلا حول ولا قوة أمام تهديدات قوى تفوقهم عشرات المرات عدة ودعما خارجيا. ففي ١٤-٨-٢٠١٧، على سبيل المثال، تعرض الأيزيديون الى هجوم إرهابي كبير راح ضحيته ٨٠٠ شخص(٤١).

وعند اجتياح ما يسمى بتنظيم "الدولة الإسلامية" الإرهابي (داعش) لمدينة الموصل كان الأيزيديون على رأس من استهدفهم الإرهابيون فقتلوا وسبوا وهجّروا الآلاف منهم خلال بضعة أيام لا غير. ووفقا لما أعلنته المديرية العامة لشؤون الأيزيدية في وزارة أوقاف حكومة إقليم كردستان، أن تلك الجرائم خلفت ٢٧٤٥ يتيما و٦٤١٧ مختطفا من أبناء الطائفة، وان عدد النازحين من جراء غزوة داعش بلغ نحو ٣٦٠,٠٠٠ نازح، وعدد الضحايا في الأيام الأولى من الغزوة بلغ ١٢٩٣ ضحية وأن المجموع الكلي للأيتام بلغ ٢٧٤٥(٤٢). فضلاً عن الاحصائيات التي كان يجريها مكتب شؤون الأيزيديين في حكومة اقليم كردستان لأعداد الضحايا(٤٣). وهذه الارقام هي خير من يصف بشاعة وقبح الارهاب الذي تسبب بمأساة ربما لم تشهد مثيلتها هذه الطائفة العراقية الوديعة من قبل رغم غزارة الدماء المنتشرة في تاريخها الوعر الطويل. كما وتنبأ ارقام كهذه عن مدى الخطر المحيق بهوية تلك الطائفة ووجودها لا سيما وميزان القوى الإثنية في المنطقة ليس في صالحها البتة.

ثانيا: الهويات المستحدثة

المسيحية :

بخلاف الصابئة والأيزيدية، تُعد المسيحية ديانة تبشيرية حاول ويحاول حاملوها نشرها في كل أرجاء الارض وهذا ما جعلها أولى ديانات العالم من حيث عدد معتنقيها. وتُسمى المسيحية بالنصرانية أيضا نسبة الى يسوع الناصري الذي كان يقطن مدينة الناصرة في فلسطين(٤٤). وبخلاف الصابئة والأيزيدية أيضا ترجع اصول مسيحيي العراق الى عدة اقوام سكنت بلاد الرافدين كالكلدان والسريان والاراميين والعرب. وان الديانة المسيحية شملت رقعة جغرافية تمتد من الصومال الى الصين(٤٥). وبناءً على ذلك لا يمكن عدّ المسيحية هوية إثنية أصيلة وانما هوية مستحدثة أو مُنشَأة اجتماعيا وهي، كحال شبيهاتها من الهويات المستحدثة، قابلة للنمو والتقلص على حد سواء ووفقا للظروف التي تمر بها. وان حاملي هذه الهوية يتميزون بتنوع جذورهم العرقية وما يترتب عليها من اختلافات في اللون والشكل واللغة والتقاليد وغيرها.

لم تستطع المسيحية بسط سيطرتها على العراق قبل الإسلام لعدة أسباب اهمها ان الديانتين المندائية واليهودية كانتا على قدر من القوة لم يسمح للمسيحية من التربع على عرش العراق الديني. وان خضوع العراق لهيمنة القوتين العظيمتين في ذلك الوقت (الفرس والبيزنطيين) صعّب الى حد كبير من نشاط المبشرين المسيحيين. أما بعد الفتح الإسلامي للعراق فقد أصبح المسلمون المكون الإثني الأكبر على الاطلاق وذلك لتبني الغالبية العظمى من عرب العراق الإسلام فضلاً عن تمصير الكوفة والبصرة واستيعابهما للكثير من العرب المسلمين القادمين من شبه جزيرة العرب.

رحب مسيحيو العراق بالفاتحين المسلمين لانهم عانوا المزيد من الاضطهاد تحت الحكم الساساني. فقد عدّهم الساسانيون من أنصار الروم البيزنطيين وطابورهم الخامس. أما المسلمون فقد عاملوهم برفق بعدّهم أهل كتاب قريبين من الإسلام وفقا للايتين ٨٢ و ٨٣ من سورة المائدة: ﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ

وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ المائدة: ٨٢ - ٨٣إلا ان الوئام بين الطرفين لم يدم مدة طويلة رغم كل ما جاء من آيات وأحاديث تحض على الإحسان للمسيحيين. فقد شهدت العصور الإسلامية التي اعقبت الخلافة الراشدية الكثير من حملات القمع والتنكيل بحق المسيحيين في العراق. ويعود ذلك على ما ذهب اليه الدكتور رشيد الخيون الى أمرين؛ الأول هو التضارب الظاهري لبعض آيات القرآن بشأن المسيحيين، والثاني هو طمع بعض الخلفاء والولاة باستحصال الجزية منهم. ففيما يتعلق بالأمر الأول؛ هناك الكثير من الآيات التي تدعو الى حسن معاملة المسيحيين كالآية ٤٦ من سورة العنكبوت: ﴿ ۞ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ . والآية الخامسة من سورة المائدة: ﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٥﴾ ﴾ المائدة: ٥ وهناك عدد من الآيات توحي بالعداء لأهل الكتاب كالآية ٢٩ من سورة التوبة: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ التوبة: ٢٩ والآية ٥١ من سورة المائدة: ﴿ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ المائدة: ٥١ وهذا التناقض الظاهري أفسح في المجال لكثير من الفقهاء بالاجتهاد في احكامهم ضد المسيحيين وغيرهم من أهل الكتاب. ولعل هذا ما جعل الأمام علي بن أبي طالب يوصي ابن عمه عبد الله بن عباس حين اختاره حكما بينه وبين أهل الشام في صفين بقوله: "لا تخاصمهم بالقرآن، فان القرآن حمّال ذو وجوه، تقول ويقولون، ولكن حاججهم بالسنة، فانهم لن يجدوا عنها محيصا"(٤٦) .

ومن الاجتهادات التي أضرت كثيرا بالمسيحيين اجتهاد شيخ الإسلام ابن تيمية الذي حرّم في واحدة من فتاويه حتى إلقاء التحية على المسيحيين أو الاجابة عن تحيتهم بأكثر من كلمة (وعليكم) دون النطق بكلمة (السلام) كي يشعروا بانهم في

حالة حرب دائمة مع المسلمين، ودعم شيخ الإسلام فتواه تلك بحديث نسبه الى الرسول مفاده: "اليهود والنصارى خونة. لا أعان الله من البسهم ثوب عز"[٤٧]، ويستند ابن تيمية وغيره من الفقهاء الذين افتوا بمعاداة اليهود والنصارى الى "رسالة الكنائس" لشيخ الإسلام ابن تيمية ومهدت الطريق لفتاوى كثيرة بقتل أهل الكتاب. فقد افتى الإمام ابن باز، على سبيل المثال، "أنه يجب على المسلمين أن يعادوا الكافرين من اليهود والنصارى وسائر المشركين، وأن يحذروا مودتهم واتخاذهم أولياء"[٤٨].

وبعد الانفلات الأمني الذي اعقب سقوط النظام البعثي، عاث تنظيم "القاعدة في بلاد الرافدين" ومن بعده "تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش)" فسادا لم يسبق له مثيل في العراق بشنهما حربا قاسية وبشعة ضد كل مكونات الشعب العراقي وبضمنها المسيحيين الذين صُرعوا تحت أنقاض العديد من كنائسهم ومحال عباداتهم التي فجرها إرهابيو القاعدة وداعش ككنيسة "سيدة النجاة" في بغداد. وبعد احتلال الموصل من قبل "داعش" في حزيران من عام ٢٠١٤، قام التنظيم بفرض الجزية على المسيحيين أو تهجيرهم من مدينتهم في حال عدم دفعها وبذلك أُجبر المسيحيون وهم سكان البلاد الأصليين على الرحيل تاركين بلادهم لعصابات أتت من الصحارى الغربية بحثا عن الجنة وحور العين. فقد كشف تقرير أعدته "منظمة حقوق الإنسان العراقية"، أن الأقليات العراقية مثل "المسيحيين والأيزيديين والشبك" باتوا ضحايا لعمليات الإبادة الجماعية التي تتم ببطء والتي تعتمد على تدمير مجتمعاتهم حتى يختفوا تماما من تكوين المجتمع العراقي، وأن البيانات تعد أبلغ دليل على ذلك. وأشار التقرير إلى أن ٨١% من "المسيحيين" و٩٤% من "الصابئة" اختفوا فعليًا، أما بالنسبة للأيزيديين فإن ١٨% منهم قتلوا أو غادروا البلاد. وذكرت منظمة "حمورابي" لحقوق الإنسان أن بغداد كان بها ٦٠٠ ألف مسيحي، لكن العدد تناقص ليصل إلى ١٥٠ ألف فقط. وأكد بطريرك الكنيسة السريانية الأرثوذكسية، "مار إغناطيوس أفرام" الثاني، أن هناك خطرًا حقيقيًا من أن تتحول المسيحية إلى شيء يرى في المتاحف فقط، مشيرًا إلى أن العراق فقَد ما بين ٨٠ و٩٠% من سكانه المسيحيين[٤٩].

الشيعة

الشيعة تعني الفرقة أو الجماعة وقد وردت بهذا المعنى في بضعة آيات قرآنية. فقد جاء في الآية ٦٩ من سورة مريم:﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ﴾ وفي الآية ٨٣ من سورة الصافات: ﴿ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴿٨٣﴾ ﴾وفي الآية ٤ من سورة القصص:﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾ . وأورد الجوهري في "معجم الصحاح": "ان كل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأي بعض فهم شيَع"(٥٠). وأورد الفيروز أبادي في "القاموس المحيط": "شيعة الرجل، بالكسر، أتباعه وانصاره، والفرقة على حدة، ويقع على الواحد والإثنين والجمع، والمذكر والمؤنث، وقد غلب هذا الاسم على كل من يتولى عليا وأهل بيته حتى صار اسما لهم خاصا" (الفيروز ابادي، القاموس المحيط، الجزء الثالث، مادة: شيع). أما مصطلح الشيعة فيعرفه ابن حزم الاندلسي بقوله: "ومن وافق الشيعة في أن عليا أفضل الناس بعد رسول الله وأحقهم بالإمامة وولده من بعده فهو شيعي وإن خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون، فان خالفهم فيما ذكرنا فليس شيعيا"(٥١) .

وفي "الدر المنثور في التفسير بالمأثور" يقول الإمام جلال الدين السيوطي في تفسير سورة "البينة": "وأخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله الانصاري قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فأقبل عليّ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة، ونزلت (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) (٥٢)، ولعل هذا ما حمل على إطلاق مصطلح "الشيعة" على أتباع علي بن أبي طالب.

واختلف المؤرخون والباحثون في بداية التشيع والمتشيعين. ففي حين يذهب الكثيرون الى ان بدايات التشيع كانت في اعقاب المعارك التي خاضها علي بن أبي طالب على من تمردوا على خلافته، يذهب الشيعة الى ان بدايات التشيع تعود الى حياة الرسول حيث التف عدد من الصحابة حول علي بن أبي طالب مؤمنين بحقه في خلافة الرسول، ومن ثم رفضهم لبيعة أبي بكر الصديق بعد وفاة الرسول(٥٣). ومن المدافعين عن هذا الرأي السيد محمد باقر الصدر في كتابه "نشأة الشيعة والتشيع" حيث ينقل عن الطبرسي حديثا عن أبان بن تغلب يقول فيه: " قلت لجعفر بن محمد الصادق: جُعلت فداك، هل كان أحد في أصحاب رسول الله أنكر

علـى أبـي بكـر فعلـه؟ قـال: نعـم كـان الـذي أنكـر عليـه اثنـا عشـر رجـلا، فمـن المهـاجرين: خالـد بـن سـعيد بـن أبـي العـاص، وسـلمان الفارسـي، وأبـو ذر الغفـاري، والمقـداد بـن الأسـود، وعمـار بـن ياسـر، وبريـدة الأسـلمي. ومـن الأنصـار: أبـو الهيـثم بـن التيهـان، وعثمـان ابـن حنيـف وخزيمـة بـن ثابـت ذو الشـهادتين، وأبـي بـن كعـب، وأبـو أيـوب الأنصـاري"[٥٤]، ولا شـك فـي ان بعـض الصـحابة المـوالين لعلـي قـاموا بنشـر فكـرة التشـيع فـي أمصـار تولـوا شـؤونها أو اقـاموا فيهـا كالكوفـة التـي وليهـا عمـار بـن ياسـر فـي عهـد عمـر بـن الخطـاب والمـدائن التـي وليهـا سـلمان الفارسـي فـي المـدة ذاتها وجبل عامل التي أقام بها أبو ذر الغفاري قبل نفيه الى الربذة.

انتقـل الانقسـام الطـائفي الـذي احتـوت المدينـة المنـورة بـذوره الأولـى الـى العـراق فـي منتصـف العقـد الهجـري الرابـع وفـي عهـد الخليفـة الرابـع علـي بـن أبـي طالـب وذلـك بسـبب الحـروب التـي خاضـها ضـد ومناوئيـه. أحـدثت تلـك المعركـة انقسـاما مـذهبيا فـي المجتمـع العراقـي، فمـن وقـف مـع علـي أصـبح شـيعيا ومـن ناوئـه تمـذهب بغيـر مـذهب الشـيعة وبـذلك تكـون الهويـة الشـيعية، كحـال غيرهـا مـن الهويـات التـي تفرعـت مـن الإسـلام، هويـة مسـتحدثة وليسـت أصـلية. وازداد ذلـك الانقسـام عمقـا فـي اعقـاب معركـة صـفين بـين علـي ومعاويـة بـن أبـي سـفيان الـذي تمـرد هـو الاخـر علـى الخليفـة. وانشـقت طائفـة عـن جـيش علـي لتشـكل مـذهبا مغـايرا لمـذاهب علـي ومعاويـة وعُـرف بمذهب الخوارج[٥٥] .

وشـهد العـراق فـي بدايـة العصـر الامـوي نزاعـات دمويـة حـادة أودت بحيـاة عشـرات الآلاف مـن العـراقيين لأسـباب تتعلـق بالإمامـة والخلافـة. ولـم يتوقـف نزيـف الـدم العراقـي طـوال العهـود "الإسـلامية" التـي أعقبـت الخلافـة الراشـدية. ومثّـل الشـيعة فـي اغلـب تلـك العهـود محـور المعارضـة السياسـية للأنظمـة التـي اضـطهدت شـعوبها باسـم الإسـلام. وراح الشـيعة العراقيـون مـا يقـرب مـن أربعـة قـرون تحـت نيـر العثمـانيين الـذين سـفكوا دمـاءهم وانتهكـوا حرمـاتهم وحرمـوهم مـن أبسـط حقـوقهم الوطنيـة والدينيـة. فقـد أمـر السـلطان سـليم، علـى سـبيل المثـال، عنـد تسـنمه العـرش فـي عـام ١٥١٢، بـذبح الشـيعة اينمـا وُجـدوا بعـد ان استحصـل علـى فتـوى مـن بعـض رجـال الـدين تجيـز لـه قتـل الشـيعة بعـدّهم مـارقين عـن الإسـلام[٥٦]. ويسـتعير حسـن العلـوي فـي كتابـه

"الشيعة والدولة القومية" عبارات لكامل الجادرجي يقول فيها: "كانت الطائفة الشيعية تُعد في زمان السلطان عبد الحميد، وبالحقيقة في زمن الدولة العثمانية، أقلية تنظر اليها الدولة بعين العداء. فلم تفسح لها مجالات التقدم في أية ناحية من نواحي الحياة العامة. ومن الامثلة البارزة على ذلك انها كانت لا يُقبل لها تلميذ في المدرسة الحربية، ولا يُقبل منها فرد في وظائف الدولة، الا ما ندر وعند الضرورة القصوى، وحتى في مدارس الدولة الاعدادية القليلة كانت توضع العراقيل في طريق دخول ابناء الطائفة فيها"[٥٧] .

واستمرت سياسة التمييز ضد الشيعة طيلة العهد الملكي (١٩٢١-١٩٥٨)، حيث شهدت عشرينيات القرن العشرين العديد من التوترات ما بين الشيعة والحكومة، بسبب التمييز الذي كان يشعرون به، منها احداث الشغب والتظاهرات التي انطلقت في مدينتي الكاظمية وسامراء عام ١٩٢٧[٥٨]، خفت وتيرة التمييز في العراق بقيام ثورة ١٤ تموز ثم عاودت الظهور بقوة بعد انقلاب "البعث" في عام ١٩٦٣ واستمرت حتى سقوطه في عام ٢٠٠٣. ولعل مدة حكم صدام حسين هي من أشد الفترات قسوة على الشيعة ومراجعها وعلمائها ورموزها وشعائرها. ففي تلك المدة لقى ما يزيد عن المليون شيعي حتفهم في السجون والمعتقلات، ورُحّل عشرات الآلاف منهم الى ايران، وأعدم الكثير من علمائهم ومراجعهم، ومثقفيهم، ومُنعوا من ممارسة شعائرهم الحسينية، وحُرموا من تولي مناصب مهمة في الدولة.

وكحال غيرها من بقية الفرق الكبيرة، انقسمت الشيعة الى فرق عديدة في مراحل كثيرة من تطورها الا ان الغالبية العظمى من تلك الفرق انقرضت ولم تصمد سوى الشيعة الإمامية الاثني عشرية التي يتجاوز عدد أتباعها اليوم المئة مليون نسمة. وفي عراق اليوم، يمثل الشيعة حوالي ٦٠% من عدد السكان ولأصواتهم الانتخابية الدور الحاسم في تشكيل الحكومات وتوزيع المناصب الرسمية.

السُنة :

"السُنّة"، بحسب تعريف "الدُرَر السَنيّة" هي ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو سيرة سواءً أكان قبل البعثة أو بعدها[٥٩]، وعليه يُطلق مصطلح أهل السُنّة والجماعة على من يتبعون سُنّة الرسول

في عباداتهم ومعاملاتهم. ويشمل المصطلح، وفقا لرأي الإمام عبد القاهر البغدادي، كل من يعتقد بدوام نعيم الجنة على أهلها، ودوام عذاب أهل النار على الكفرة، ويقول بإمامة الخلفاء الاربعة (أبي بكر وعمر وعثمان وعلي) ويُحسن الثناء على السلف الصالح، ويرى وجوب الجمعة خلف الائمة الذين تبرءوا من أهل الاهواء الضالة، ويرى وجوب استنباط أحكام الشريعة من القرآن والسنة ومن اجماع الصحابة، ويرى وجوب المسح على الخفين، ووقوع الطلاق الثلاث، ويرى وجوب طاعة السلطان فيما ليس بمعصية[٦٠]. الا ان معظم فقهاء السُنّة وعلمائهم استخدموا مصطلح "الجماعة" مرادفا للكثرة العددية وبالتالي دليلا على صحة منهجهم استنادا الى حديث يُنسب للرسول يقول: "لا تجتمع أمتي على باطل". وكثيرا ما استُخدم هذا المصطلح لقمع المعارضة السياسية للحكّام باعتبار ان المعارضين يمثلون على الدوام قلة عددية بالنسبة الى الموالين، ويستدلون في استنتاجهم هذا بحديث اخر يُنسب للرسول يقول: "من أراد تفريق شمل هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائنا من يكون". ولا شك في ان هذا الحديث هو من الاحاديث التي وُضعت بأمر الحكّام الذين يعدون كل خارج عليهم مُفرّقا لشمل الأمة ويستحق القتل.

وأئمة السُنّة ومؤسسو مذاهبهم أربعة، وهم وفقا لتسلسلهم الزمني الإمام أبو حنيفة (٨٠-١٥٠ هـ) ومالك بن أنس (٩٣-١٧٩ هـ) والإمام الشافعي (١٥٠-٢٠٤ هـ) والإمام أحمد بن حنبل (١٦٤-٢٤١ هـ). وبمرور الزمن تحولت تلك المذاهب الى هويات مذهبية تميز إقليما من آخر وفرقة عن أخرى من أقاليم وفرق المسلمين. فقد انتشر المذهب الحنفي، على سبيل المثال، في العراق ومصر والشام بعد ان تبناه العثمانيون ونشروه في البلدان التي أخضعوها لسيطرتهم. وانتشر المذهب المالكي في شمال افريقيا والشافعي في فلسطين والحنبلي في شه جزيرة العرب.

واصطدم الأئمة الأربعة للسُنّة بسياسات الحكّام وميولهم وعلاقاتهم بالمعارضة في زمانهم. فقد ساءت علاقة الإمام أبي حنيفة بالخليفتين الأموي هشام بن عبد الملك والعباسي المنصور بسبب مساندته لثورتي زيد بن علي ومحمد ذو النفس

الزكية. وساءت علاقة الإمام مالك بهشام أيضا حين افتى بان الخروج مع زيد كالخروج مع رسول الله الى بدر[٦١]. وحُبس الإمام أحمد بن حنبل فيما عُرف بمحنة خلق القرآن. ولكن على الرغم من هذا اضطر بعض الأئمة في بعض الفترات الى مجاراة الخلفاء طمعا في ثواب أو خوفا من عقاب. فقد ألفّ الإمام مالك، على سبيل المثال، كتاب الموطأ بناءً على رغبة الخليفة المنصور الذي أراد إبعاد الناس عن الفقه الجعفري، واشترط المنصور على مالك ان لا يروي شيئاً عن علي بن أبي طالب وامتثل مالك لإرادة المنصور. الا ان كل ما لاقاه أئمة المذاهب الاربعة، وخصوصا الإمام أبو حنيفة، من تنكيل على يد الخلفاء العباسيين لم يمنع أولئك الخلفاء من جعل المذهب الحنفي مذهبا رسميا للدولة[٦٢]، ولا شك ان مدعاة ذلك هو سعي العباسيين الى الحد من تأثير المذهب الشيعي الذي يعارض تسلط الحكّام على الناس.

وفي نشوء المذاهب الاربعة، ينقل الحاج حسين الشاكري عن السيد رضي الدين علي بن طاووس أن السبب في أحداث المذاهب الأربعة هو "أن الصادق اجتمع عليه في عصر المنصور أربعة آلاف راو يأخذون منه العلم، من جملتهم أبو حنيفة النعمان بن ثابت ومالك بن أنس. فلما رأى المنصور اجتماع الناس على الصادق خاف ميل الناس إليه وأخذ الملك منه، فأمر أبا حنيفة ومالكا باعتزال الصادق واحداث مذهب غير مذهبه، فاعتزل أبو حنيفة عن الصادق واحدث مذهبا غير مذهبه، وعمل فيه بالرأي والقياس والاستحسان والاجتهاد. ثم اعتزل مالك عن الصادق (عليه السلام)، وكان يقرأ عليه وعلى ربيعة الرأي، فأحدث مذهبا غير مذهبهما وغير مذهب أبي حنيفة. ثم جاء بعدهما الشافعي محمد بن إدريس، فقرأ على مالك وعلى محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة، فأحدث مذهبا غير مذهبهما. ثم جاء بعده أحمد بن حنبل فقرأ على الشافعي فأحدث مذهبا غير مذهبه. ثم استقرت مذاهب السنة في الفروع على هذه الأربعة المذاهب الحادثة أيام المنصور[٦٣]. ومهما بلغت صحة هذه الرواية، يبقى بالإمكان الاستنتاج ان تلك المذاهب انتجت هويات ذرائعية تحت ضغط الأوضاع السياسية التي كانت سائدة في ذلك الوقت. فعلى خلاف المذهب الشيعي، الذي وجد نفسه في صراع دائم مع

الحكّام والطواغيت، ترى معظم أئمة المذاهب الإسلامية الأخرى واعلامها على وفاق مع الحكّام. فالجامع الازهر ودار الإفتاء السعودية وهيئة علماء المسلمين في العراق امثلة حيّة على التعاون الكبير بين الحكّام والفقهاء، في حين تسود الخلافات والصدامات علاقة الحوزات العلمية الشيعية بالحكّام والامراء.

وعلى الرغم من ان معظم الأنظمة التي توالت على حكم العراق منذ اغتيال الإمام علي وحتى سقوط "البعث" امتازت بصبغة سنيّة، الا ان الكثير من السُنّة قد تعرض الى القمع والاضطهاد في فترات عديدة من تاريخ العراق. ولعل ما ارتكبه الصفويون من مذابح بحق سُنّة العراق هي الاقسى على الاطلاق. فقد ذكر الدكتور علي الوردي، على سبيل المثال، انه في عام ١٥٠٨ استطاع اسماعيل الصفوي ان يفتح العراق فصار يضطهد أهل السُنّة من سكان العراق، وقتل بعض وجهائهم وفقهائهم، وهدم قبور أئمتهم كقبر أبي حنيفة وعبد القادر الكيلاني[٦٤].

المبحث الثالث: اثر العامل الخارجي في الصراع الاثني ما بعد ٢٠٠٣

اولاً: الصراع الاثني ما بعد ٢٠٠٣

لم يسجل التاريخ للصابئة أو الأيزيديين انهم خاضوا حروباً مذهبية ضد من قاسموهم العيش في أرض الرافدين. ويعود ذلك الى عاملين أساسيين سبق التطرق اليهما وهما موازين القوى الإثنية والمنطلقات الدينية أو المذهبية للفرقتين. فلم يكن بوسع الصابئة أو الأيزيديين ان يخوضوا حروبا ضد مكونات تفوقهم عشرات المرات عدداً وعدة. و ان التعاليم الدينية للفرقتين تدعو بشكل جلي الى التسامح وغض الطرف عن اساءات الآخرين. وبالإضافة الى ذلك فان الديانتين ليستا من الديانات التبشيرية التي يتطلب انجاز مهماتها في التبشير والاحتكاك بمكونات أخرى والاصطدام بها في احيان كثيرة. وقد أدى ضعف هذين المكونين الى جعلهما هدفا سهلا للأنظمة السياسية والقوى الإثنية الكبرى، فكثيرا ما ارتُكبت المجازر بحقهما ولعل اخرها المجازر التي ارتكبتها (داعش) بحق الأيزيديين عقب احتلالهم للموصل في صيف عام ٢٠١٤. وساهمت الفتاوى، القديمة منها والحديثة، التي أصدرها رجال دين مسلمون بتكفير هذين المكونين، في تسويغ الاعتداء عليهم وانتهاك حرماتهم. وكان من الطبيعي ان تكون ردة فعل الصابئة والايزيديين الرحيل

عن العراق الى بلدان أكثر أمنا، وبذلك يوشك العراق اليوم ان يفقد والى الابد مكونين من مكوناته، طالما أحبا العراق وساهما في بنائه.

ولم يكن المسيحيون أفضل حظا من الصابئة والايزيديين في العراق، فقد تعرضوا هم أيضا لحملات إبادة كثيرة في الماضي والى هجمات دموية طالت العديد من كنائسهم ورموزهم الدينية في الحاضر. وطالما حمل لواء تلك الهجمات تنظيما القاعدة وداعش الذين عاثا فسادا وارهابا في العراق بسبب الانفلات الامني وضعف الحكومة المركزية بعد سقوط النظام البعثي. ولم تشفع للمسيحيين العراقيين أصالتهم التاريخية ولا تسامحهم الديني في تجنب الضربات الإرهابية. وكما هو الحال مع الصابئة والأيزيديين، أدت فتاوى بعض علماء المسلمين الى ازدراء المسيحيين وتكفيرهم والتشجيع على اضطهادهم دورا حاسما الى شن الحرب عليهم، وكانت النتيجة الطبيعية لهذه الحرب ان يشد المسيحيون الرحال بعيدا عن العراق، الأرض التي سكنها أجدادهم منذ عشرات القرون. ومرة أخرى يوشك العراق ان يفقد واحدا من مكوناته الأساسية بسبب العنف المذهبي الذي اجتاحه بعد سقوط "البعث".

أما أشد وأعنف صراع اثني ومذهبي شهده العراق في تاريخه المعاصر هو الصراع الشيعي–السني الذي اندلع بعد سقوط النظام البعثي عام ٢٠٠٣ وبلغ ذروته في الاعوام من ٢٠٠٦ الى ٢٠٠٩. وكان من الطبيعي ان يرحب شيعة العراق بالإطاحة بحكم البعث الذي سفك دماءهم وشرّد الآلاف منهم. رافق ذلك ان أفتت بعض المرجعيات السنيّة، وخصوصا الشيخ حارث الضاري، بوجوب الجهاد ضد المحتل الأميركي، وتحريم المشاركة في الانتخابات النيابية. كما وصرّح الشيخ الضاري من عمّان قائلا: "القاعدة منا ونحن منها"[٦٥]، وهذا ما يُفسر تحول الكثير من المناطق ذات الاغلبية السنيّة في شمال وغرب العراق الى حواضن لمنظمات ومجاميع مسلحة أعلنت الجهاد ضد الأميركيين فطال "جهادها" الشيعة وطوائف أخرى أكثر بكثير مما طال الاميركيين أنفسهم.

ولموازنة سطوة تنظيم القاعدة برزت فصائل مسلحة بالضد منها ومواجهتها فاحتدم الصراع المسلح بين الطرفين وشاع القتل والخطف الذي شمل كل محافظات العراق باستثناء كردستان وأسفر عن ذلك سقوط المئات من الضحايا.

ويذهب الكثيرون الى ان العنف الطائفي قد جاء الى العراق على ظهور الدبابات الاميركية التي غزت البلاد في نيسان من عام ٢٠٠٣ وازاحت "البعث" من السلطة. وهذا يجافي الحقيقة. وأشار الى تلك الحقيقة الدكتور علي الوردي حين اكد ان المجتمع العراقي منقسم بين المذهبين الشيعي والسني وان النزاع الطائفي بين الفرقتين يعود الى صدر الإسلام(٦٦)، ومنذ ذلك الحين أصبح العراق مسرحا لحروب اثنية ومذهبية لم تبق ولم تذر.

ومثلما استعانت المذاهب والطوائف سابقا بفتاوى العلماء والفقهاء في حروبها ضد بعضها البعض، شهد الصراع الطائفي الاخير في العراق حضور بارز لفتاوى اباحت الدماء وهتكت الحرمات. فقد جاء، على سبيل المثال، في فتوى لشيخ الإسلام ابن تيمية قال فيها: "وكذلك الخروج والمروق يتناول كل من كان في معنى أولئك (الخوارج) ويجب قتالهم بأمر النبي (ص) كما وجب قتال أولئك (الكفار) وان كان الخروج عن الدين والاسلام بيناً ان خروج الروافض ومروقهم أعظم بكثير"(٦٧).

ثانياً: دور القوى الاقليمية والدولية في الصراع الاثني

في صراعها مع بعضها بعض، كثيرا ما تلجأ المكونات الإثنية الى الاستعانة بقوى اقليمية أو دولية لموازنة قوة اعدائها أو التغلب عليها. ولم يكن الصراع الشيعي–السني في العراق استثناءً من تلك القاعدة. فقد شهد العهد العثماني تدخلا تركيا–فارسيا هائلا في ذلك الصراع حيث سعت كل من الجارتين الى بسط سيطرتها على العراق من خلال دعم أحد المكونين (الشيعة والسُنّة) على حساب المكون الاخر. ويمكن القول ان الخلافات بين الطائفتين سياسية اكثر منها ايديولوجية، قد تنامت خلال الحروب المتقطعة للمدة (١٥١٤–١٨٢٣) بين العثمانيين والصفويين بدافع الحدود والسيطرة على المناطق الاخرى ومنها العراق(٦٨)، وقد عزز ذلك الصراع عدم الاستقرار في العراق ودخول افكار جديدة

وراديكالية للمجمع العراقي ساهمت في زيادة الحس الطائفي بدل التخفيف من وطأته[٦٩]

واعتاد التُرك على دعم المكون السني الذي ينتمون هم اليه أيضا في حين سعى الايرانيون الى دعم الشيعة بعد ان أعلن الشاه اسماعيل الصفوي تغيير مذهب بلاده السني الى المذهب الشيعي. وبسبب التقارب في قوى المكونين من حيث العدد السكاني، وما ورثه المكونان من عداءات وصراعات وخلافات مذهبية امتدت على مدى قرون من الزمان، كان من اليسير على الجارين ان يشعلا ويذكيا نيران الحرب الطائفية بين المكونين الأساسيين في العراق. فعلى سبيل المثال، يذكر الدكتور علي الوردي ان الشاه عباس الصفوي "فعل ببغداد ما فعله الشاه اسماعيل قبله وربما زاد عليه، فقد هدم مرقدي أبي حنيفة والشيخ عبد القادر ثم وزع دفاتر لتسجيل اسماء أهل السُنّة من سكان بغداد بقصد القضاء عليهم جميعا، ولو لم يتدخل السيد دراج كليدار الحسين لنفذ الشاه ما أراد"[٧٠]. ويستمر الدكتور الوردي في وصف ما حلّ بالعراق والعراقيين فيذكر ان درويشا عراقيا ذهب الى اسطنبول لمقابلة السلطان مراد الرابع ولومه على تأخره في انقاذ بغداد من سيطرة العجم، وفي يوم جمعة تسنت له رؤية السلطان مراد فصاح في وجهه وهو يرتعش من شدة التأثر: "انت تخفي نفسك بين حرسك وحريمك لاهيا بالأنس والطرب، أما علمت ان الروافض هدموا قبر الشيخ عبد القادر؟"[٧١]. ولشدة ما يتشابه هذا الدرويش مع بعض السياسيين الذين تصدوا للعمل السياسي في العراق بعد سقوط "البعث" عام ٢٠٠٣. فقد ذهب احدهم الى مؤتمر "لنصرة الشعب العراقي" في اسطنبول في عام ٢٠٠٦ وخاطب الحضور قائلا: "ناموا. ان الحريق سيمتد الى المنطقة. والله انها خطة منذ أكثر من خمسين سنة لتشييع المنطقة وايجاد امبراطورية فارسية تحت غطاء الشيعة وتحت غطاء الإسلام والإسلام بريء منهم [٧٢] ".

ولا أحد يعلم ما الوعود التي حصل عليها هؤلاء السياسيين في اسطنبول ولكن التاريخ ذكر ان السلطان مراد الرابع وعد ذلك الدرويش بالانتقام للشيخ عبد القادر. وذكر الدكتور الوردي انه بعد نجاح السلطان مراد بفتح بغداد في عام ١٦٣٧ أمر

بالذبح العام انتقاما لمقتل ثمانمائة من الانكشاريين بسبب انفجار مخزن للبارود في بغداد. ونُقل عن المؤرخين الاتراك ان السلطان قتل ثلاثين الفا[٧٣].

وكان من المفترض ان يعمل الانكليز، بعد طرد العثمانيين من العراق، على رفع الاضطهاد عن الشيعة واعادة ما فقدوه من حريات وحقوق ولكن شيئا من هذا لم يحدث، فقد نقم الانكليز على الشيعة وعلمائهم بسبب مشاركتهم الفعّالة في ثورة العشرين ضد الاحتلال ومطالبتهم بالاستقلال. وفي هذا الصدد قال الميجر ديكسون الحاكم العام للفرات الأوسط: "ان النية يجب ان تتجه لتعيين الرجال ذوي الآراء المعتدلة دون غيرهم في المناصب السياسية، وضرب واضطهاد عناصر الثورة في حال وجودها". أما المس بيل، سكرتيرة المندوب السامي، فقد صرحت بوضوح: "أما أنا شخصيا فأبتهج وأفرح ان أرى الشيعة الأغراب يقعون في مأزق حرج"[٧٤]. وبذلك انحاز البريطانيون الى السُنّة ضد الشيعة وهو موقف يراه العلوي صائبا لان الأقلية تبقى دائما بحاجة الى سند خارجي يحميها من سيطرة الأغلبية وهو الوضع المثالي لسياسة ترمي الى ابقاء العراق تحت الهيمنة الاستعمارية. وقد ثبت نجاح هذه السياسة رغم ان الضحية فيها هم معظم العراقيين.

وتجلى دور القوى الاقليمية والدولية في تأجيج العنف الطائفي في العراق بأبشع صوره بعد سقوط نظام "البعث". وراح الأميركيون يدعمون بعض الاطراف ضد بعضهما البعض من أجل ابقاء الوضع في حال عدم استقرار ومن ثم ابقاء السيطرة الاميركية على مجريات الامور في البلاد. ولعل اسوء ما سنّه الاميركيون في العراق هو نظام المحاصصة الطائفية الذي حرم وسيحرم العراق من فرص كبيرة في التقدم والرخاء.

وللخلاص من التبعات السلبية للتعدد الإثني لابد من أمرين؛ أولهما تغليب الهوية العراقية على سائر الهويات الفرعية ويتم ذلك عبر التركيز على ما يجمع العراقيين ونبذ ما يفرقهم وسن القوانين التي تحرّم الاساءة الى معتقدات وشعائر أي مكون إثني مهما كان حجمه وتحت أية ذريعة. وثانيهما، التمسك بمبادئ الديمقراطية الحقيقية وليست التوافقية. فالديمقراطية التوافقية التي تسود العملية السياسية منذ نشوئها في عام ٢٠٠٣ وحتى اليوم كرست وبشكل واضح الانقسام

العرقي والمذهبي في المجتمع العراقي من خلال سياسة المحاصصة البغيضة التي جعلت من مؤسسات الدولة كعكة تتقاسمها الكتل والأحزاب السياسية التي تمثل المكونات الإثنية وفقا لأحجامها ومساحاتها، وهذا ما حرم العراق من كفاءات كثيرة وفعّالة.

الخاتمة

العراق بلد متعدد الأعراق والطوائف ويعود هذا بالدرجة الأولى الى تاريخه الضارب في القدم وتعدد الحضارات التي قامت على ارضه وكثرة الأقوام والشعوب التي حطت في ربوعه. ويمكن تصنيف المكونات الإثنية التي تتواجد في عراق اليوم الى صنفين أساسيين؛ مكونات أصلية، وتعني مكونات قديمة جدا ويصعب على الباحثين تحديد منشأها، ويتميز أفرادها بخصائص بيولوجية تناقلوها جيلا عن جيل كما الجينات الوراثية. وتتمثل هذه المكونات بالصابئة والأيزيديين. ومكونات أو هويات مستحدثة وتعني مكونات انسلخت عن مكونات أكبر وأقدم بسبب انعطاف سياسي أو ديني أو اجتماعي في مسيرة المكون الأول. وتتمثل هذه المكونات بالمسيحية والشيعة والسُنّة.

وكما هو حال جميع البلدان المتعددة الإثنيات، شهد العراق منذ فجر تاريخه صراعات مريرة ومعقدة بين مكوناته الإثنية، وغالبا ما تعتمد ميكانيكية الصراعات على عاملين أساسيين هما ميزان القوى بين المكونات الإثنية والمنطلقات الأيديولوجية أو الدينية للمكون. فبسبب صغر حجمهما وسماحة معتقداتهما يجد المكونان الصابئي والأيزيدي نفسيهما على الدوام في وضع المدافع عن النفس أمام هجمات الآخرين. هذا في حين يشتد الصراع بين المكونين الشيعي والسني ويتكرر بين الحين والاخر بسبب كبر حجم المكونين وتعاظم قوتهما الذاتية والموضوعية.

ومن مساوئ التنوع الإثني انه يتيح للقوى المجاورة وكذلك العظمى مساحة كبيرة للتدخل في الشؤون الداخلية للبلد وتعميق حالة الانقسام التي يشهدها. ولا يمثل العراق استثناءً من هذه القاعدة. فمنذ أمد طويل يتم استغلال الصراع الإثني في العراق من قبل القوى الاقليمية والعالمية لتمرير اجنداتها وبسط سيطرتها على البلاد أوعلى الاقل، التأثير الكبير في سياساته. ولعل أقسى مراحل الصراع

المذهبي في العراق هي تلك التي كانت فيها البلاد فريسة بين مخالب وأنياب الامبراطوريتين العثمانية والفارسية. فدعم الفرس لشيعة العراق ودعم العثمانيون لسنته تسبب في مجازر ومذابح راح ضحيتها عشرات الآلاف من الأرواح. ولم يع العراقيون درس التدخل الاجنبي بشكل جيد فعاودوا الكرّة بعد سقوط "البعث" في عام ٢٠٠٣ وسمحوا للعديد من القوى الاقليمية والدولية للتدخل في شؤونهم فكانت النتيجة حربا أهلية حصدت ما يقرب من نصف مليون انسان من مختلف المكونات.

ولوضع حد دائم للصراع الإثني في العراق، ولتحويل التنوع الإثني من عامل ضعف واقتتال الى عامل قوة وتقدم يتعين على سياسيي العراق ومثقفيهم العمل على تغليب الهوية العراقية الوطنية على باقي الهويات العرقية، وجعل الولاء للوطن فوق كل الولاءات العرقية والمذهبية. ويتوجب كذلك نبذ ما يُعرف بالديمقراطية التوافقية التي أرست أسس المحاصصة الطائفية البغيضة، وتبني الديمقراطية الحقيقية التي تضع الرجل المناسب في المكان المناسب.

Abstract

The difference of ethnic identities in Iraq and the impact of the external factor in its differences in post-2003

Keywords: Differences, Identities, Differences

. Ayman Abdel Aoun

University of Diyala / College of Law and Political Science

Sami Ahmed Saleh

Iraqi University / College of Law and Political Science

Because of its water abundance, fertility and temperate climate, Iraq has been an ideal direction for the emigrating tribes which sought proper situations for life. Simultaneously, it has been an ideal target for invaders who sought power and wealth. Accordingly, Iraq turned into a crucible where different nations have been melted to produce different

identities. These identities have had a long history of struggle as well as of cooperation.

This research attempts to categorize the Iraqi identities and the factors responsible for their emergence, strength and survival. The research also aims to analyze the brutal sectarian conflict which erupted during the few years following the collapse of Ba'ath regime.

It is concluded that Iraqi identities could be divided into two main categories; primordial identities, which are old to the extent that their origins are not known (such as Mandean, and Yazidi), and socially constructed identities, which have been shaped through turning points in the history of the society (such as Shia and Sunnah). The struggle among socially constructed identities is harder and more complicated than that among primordial ones. Further, two factors are responsible for the dynamic of the sectarian conflict; the ideological characteristics of the ethnic group and the balance of political, human and military power among the groups.

The research does not underestimate the essential role played by the regional and global powers in escalating and complicating the ethnic conflicts which took place in a Iraq, especially after 2003.

Finally, the research argues that the creation of a strong national identity which is able to subordinate all the secondary identities is the only way by which Iraq can turn its ethnic diversity into strength in stead of weakness.

الهوامش

(1) De Vos G., 'Ethnic Pluralism: Conflict and Accommodation', in '*Ethnic Identity: Cultural Continuities and Change*', ed. G. De Vos and L. Kommanucci-Ross, Palo Alto California 1975,5

(2) Volkan Vamik, 'Killing in the Name of Identity', Pitchstone Publishing, Virginia, 2006, 15 .

(3) Williams Paul D (2013), 'Security Studies: An Introduction', Routledge, New York, 2013, 266 .

(4) Persons, G, A. (1999) 'Race and Ethnicity in Comparative Perspective', Transaction Publishers, New Jersey,1999, 7.

(5) Chandra Kanchan, 'Constructivist Theories of Ethnic Politics', Oxford University Press, New York, 2012, 135.

(6) Timothy Sisk, 'Power Sharing and International Mediation in Ethnic Conflicts', United States Institute of Peace, Washington DC, 2002, 12.

(٧) علي الوردي، "لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث"، الجزء الأول، دار الراشد، بيروت، ٢٠١٣، ٥١ .

(8) Williams, 2013, 297.

(9) Chandra Kanchan, 2012, 140 .

(١٠) الإمام عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، "الفَرق بين الفِرق"، الطبعة الرابعة، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٩،ص٥ . وينظر: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، "الملل والنحل"، تحقيق احمد حجازي السقا ومحمد رضوان مهنا، الجزء الأول، مكتبة الايمان للنشر والتوزيع، المنصورة، مصر ٢٠٠٦، ٨ .

(١١) فرقة تتبع السيد علي محمد الشيرازي الذي لقّب نفسه بالباب باعتباره بابا للإمام المهدي الغائب ونائبا عنه . للمزيد ينظر: رشيد الخيون، الأديان والمذاهب بالعراق، الجزء الأول، ٢٠١٦، ص٥٥٦ .

(١٢) فرقة تُنسب كيسان مولى علي بن ابي طالب، تعتقد بالتناسخ والحلول والرجعة بعد الموت، الشهرستاني، مصدر سبق ذكره، ص١٢١ .

(١٣) فرقة تنسب الى يزيد بن ابي أنيسة تزعم ان شريعة الإسلام تُنسخ آخر الزمان بنبي من العجم، الإمام عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، "الفرق بين الفرق"، مصدر سبق ذكره، ص١٨ .

(١٤) الإمام محمد ابو زهرة، "تاريخ المذاهب الإسلامية"، دار الفكر العربي، القاهرة ٢٠٠٩، ص٨٢ .

(١٥) تعني اللعبة الصفرية بين لاعبين ان فوز احدهما يتم على حساب خسارة الآخر .

(16) Timothy Sisk, 2002, 15.

(17) Donald Horowitz, '*Ethnic Groups in Conflict*', Berkeley, University of California Press, 1985, 12 .

(18) Timothy Sisk, 2002, 16.

(١٩) طه باقر "مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة"، الطبعة الثالثة، دار الورّاق، بيروت ٢٠١٧، ص٣٥-٣٦ .

(20) Simons Geoff, '*Iraq: From Sumer to Saddam*' 2nd Edition, Macmillan, Basingstoke 1996, 113.

(٢١) طه باقر، مصدر سبق ذكره، ص٤٠٧ .

(٢٢) المصدر نفسه، ص٥٨٣ .

(٢٣) تحسين مهدي مكلف، الموطن الأصلي لديانة الصابئة المندائيين، اتحاد الجمعيات المندائية في المهجر، ٥-١٢-٢٠١٦.
http://www.mandaeanunion.org/ar/historyn

(٢٤) رشيد الخيون، مصدر سبق ذكره، ص٦١-٦٢ .

(٢٥) صباح مال الله، الصابئة المندائيون في العراق القديم، موسوعة العيون المعرفية.
http://www.mandaeannetwork.com/mandaean/ar/literatures/mandaeann
_in_ancient_iraq.htmletwork_mandaean_sabian_mandaeans

(٢٦) الشيخ ستار جبار حلو (رئيس طائفة الصابئة المندائيين في العراق والعالم) في لقاء مع محطة الميادين الفضائية، ٢٣-١١-٢٠١٤، موسوعة العيون المعرفية .
http://mandaeannetwork.com/mandaean/ar/index.html

(٢٧) المصـــــــــــــــــــدر نفســـــــــــــــــــه.

http://mandaeannetwork.com/mandaean/ar/index.html

(٢٨) "ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون" (البقرة ٦٢). "ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون" (المائدة، ٦٩).

(٢٩) رشيد الخيون ، مصدر سبق ذكره، ص١١٧ .

(٣٠) عزيز سباهي، "أصول الصابئة (المندائيين) ومعتقداتهم الدينية"، دار المدى، دمشق ٢٠٠٢، ص٢١ .

(٣١) الموسوعة الفقهية الكويتية، موقع نداء الايمان. http://www.al-eman.com

(٣٢) أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي البغدادي، "الاحكام السلطانية والولايات الدينية"، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠١٦، ص١٨٣ .

(٣٣) محمد حسين الطباطبائي، "مختصر تفسير الميزان"، مؤسسة العطار الثقافية، النجف الاشرف ١٣٨١هـ، ١٨ .

(٣٤) رشيد الخيون، مصدر سبق ذكره، ص١٢٠-١٣٠ .

(٣٥) مصطفى حمو، "الصابئة المندائيون مهددون بالزوال من العراق"، BBC Arabic 2-6-2007

(٣٦) قناة العالم، ٤-٥-٢٠١٧ https://www.alalam.ir/news

(٣٧) رشيد الخيون، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٦ .

(٣٨) شاكر خصباك "الأكراد: دراسة جغرافية اثنوغرافية"، مطبعة شفيق، بغداد، ١٩٧٢، ص٤٨٩ .

(٣٩) المصدر نفسه، ص٤٩٠ .

(٤٠) علاء الجوادي، "إضطهاد الأيزيديين عبر العصور جريمة يجب ايقافها في القرن الواحد والعشرين"، مؤسسة النور للثقافة والاعلام، ٢٨-٦-٢٠١٨ http://www.alnoor.se/article.asp?id=306756

(٤١) المصدر نفسه، http://www.alnoor.se/article.asp?id=306756

(٤٢) خلدون سالم الياس، الايزيديون التأريخ والابادات سنجار انموذجا، الروسم للنشر، بغداد، ٢٠١٦، ص١٨٨.

(٤٣) موازين نيوز ١-٨-٢٠١٨
http://www.faceiraq.net/inews.php?id=6534090

(٤٤) بهاء حسين الشباني ، "مسيحيو العراق (١٩٥٨-١٩٦٨): دراسة تاريخية"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القادسية، كلية التربية، قسم التاريخ ٢٠١٧، ص٨ .

(٤٥) رشيد الخيون، مصدر سبق ذكره، ص٣٧٤-٣٧٥ .

(٤٦) "نهج البلاغة"، جمع: الشريف الرضي، شرح علي محمد علي دخيل، الطبعة الأولى، العتبة الكاظمية المقدسة ٢٠١٢، وصية ٣١٦ .

(٤٧) شيخ الإسلام تقي الدين أحمد ابن تيمية ، "مسألة في الكنائس"، مكتبة العبيكات، الرياض، ١٩٩٥، ص١٣٤-١٣٧ .

(٤٨) الموقع الرسمي للإمام ابن باز https://binbaz.org.sa/articles

(٤٩) اية حسين علي، "مسيحيو العراق بين الاستهداف والتجاهل"، موقع كتابات، ١١-٤-٢٠١٨ https://kitabat.com/news

(٥٠) الإمام إسماعيل بن حماد الجوهري ، "معجم الصحاح"، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ، ٢٠١٢، ص٦٠٦ .

(٥١) عبد الرسول الموسوي ، "الشيعة في التاريخ"، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٠، ص١٣ .

(٥٢) جلال الدين السيوطي ، "الدر المنثور في التفسير بالمأثور"، مركز هجر للبحوث والدراسات الإسلامية، ج٥، الطبعة الأولى، القاهرة ٢٠٠٣، ص٥٧٠ .

(٥٣) محمد جواد مغنية ، "الشيعة في الميزان"، الطبعة الرابعة، دار الكتاب الإسلامي، قم، ٢٠٠٨، ص٥٧-٥٨ .

(٥٤) محمد باقر الصدر ، "نشأة التشيع والشيعة"، الطبعة الثانية، تحقيق الدكتور عبد الجبار شرارة، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، بيروت، ١٩٩٧، ص٨٠ .

(٥٥) السيد جعفر مرتضى العاملي ، "دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام"، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، ١٤٠٩ هـ، ص٣٥ .

(٥٦) حسن العلوي ، "الشيعة والدولة القومية في العراق"، CEDI ، فرنسا، ١٩٨٩، ص٤٥ .

(٥٧) المصدر نفسه ، ص٥٠-٥١ .

(٥٨) أماتيزيا بارام وآخرون، صراع الهويات في العراق، ترجمة: مصطفى نعمان احمد، دارميزوبوتاميا للطباعة والنشر، ط١، بغداد، ٢٠١٦، ص٧١ .

(٥٩) موقع "الدُرَر السَنيّة" https://dorar.net/firq/82

(٦٠) الإمام عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، "الفرق بين الفرق"، مصدر سبق ذكره، ص٢٤٠-٢٤١ .

(٦١) الإمام محمد أبو زهرة ، "أبو حنيفة: حياته وعصره – آراءه وفقهه"، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٤٧، ص٣٧-٤٤ .

(٦٢) إيهاب نبيل رفاعي ، "الصراعات المذهبية والاجتماعية في المشرق الإسلامي"، دار الآفاق الإسلامية، القاهرة، ٢٠١٣، ص٧٠.

(٦٣) حسين الشاكري ، "نشوء المذاهب والفرق الإسلامية"، مطبعة ستارة، قم المقدسة، ١٤١٨ هـ، ص ١٩٨-١٩٩ .

(٦٤) علي الوردي ، "دراسة في طبيعة المجتمع العراقي"، مكتبة الفكر الحر، بغداد، ٢٠١٨، ص١٤٨ .

(٦٥) جريدة "الاتحاد" الإماراتية ١٠-أكتوبر-٢٠٠٧، https://www.alittihad.ae/article/144901/2007

(٦٦) علي الوردي، "دراسة في طبيعة المجتمع العراقي"، مصدر سبق ذكره، ص١٤٧ .

(٦٧) شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية ، "مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية"، ج٢٨ ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية ٢٠٠٤، ص٤٩٨ .

(٦٨) أماتيزيا بارام وآخرون، مصدر سبق ذكره، ص٢٧.

(٦٩) المصدر نفسه، ص٢٨.

(٧٠) علي الوردي، "لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث"، مصدر سبق ذكره، ص ٧٢

(٧١) المصدر نفسه، ص٨٣ .

(٧٢) ينظر الرابط : https://www.youtube.com/watch?v=pp8UkRB5GOI

(٧٣) علي الوردي، "لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث"، مصدر سبق ذكره، ص ٨٦ .

(٧٤) حسن العلوي، مصدر سبق ذكره، ص١٣٤ .

المصادر باللغة العربية:

i. أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، "الملل والنحل"، تحقيق احمد حجازي السقا ومحمد رضوان مهنا، الجزء الأول، مكتبة الايمان للنشر والتوزيع، المنصورة، مصر ٢٠٠٦

ii. أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي ، "الاحكام السلطانية والولايات الدينية"، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠١٦.

iii. أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي ، "تأريخ اليعقوبي"، المكتبة الحيدرية، النجف الاشرف ١٩٦٤.
iv. أماتيزيا بارام وآخرون، صراع الهويات في العراق، ترجمة: مصطفى نعمان احمد، دارميزوبوتاميا للطباعة والنشر، ط١، بغداد، ٢٠١٦.
v. الإمام أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي ، "مروج الذهب ومعادن الجوهر"، المكتبة العصرية، بيروت ٢٠٠٥.
vi. الإمام إسماعيل بن حماد الجوهري ، "معجم الصحاح"، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ٢٠١٢ .
vii. الإمام عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي ، "الفرق بين الفرق"، الطبعة الرابعة، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٩.
viii. الإمام محمد أبو زهرة ، "أبو حنيفة: حياته وعصره – آراءه وفقهه"، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٤٧.
ix. الإمام محمد أبو زهرة، "تاريخ المذاهب الإسلامية"، دار الفكر العربي، القاهرة ٢٠٠٩.
x. إيهاب نبيل رفاعي ، "الصراعات المذهبية والاجتماعية في المشرق الإسلامي"، دار الآفاق الإسلامية، القاهرة ٢٠١٣.
xi. جلال الدين السيوطي ، "الدر المنثور في التفسير بالمأثور"، مركز هجر للبحوث والدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى، القاهرة ٢٠٠٣ .
xii. الحاج حسين الشاكري ، "نشوء المذاهب والفرق الإسلامية"، مطبعة ستارة، قم المقدسة، ١٤١٨ هـ.
xiii. حسن العلوي ، "الشيعة والدولة القومية في العراق"، CEDI ، فرنسا ١٩٨٩
xiv. السيد جعفر مرتضى العاملي ، "دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام"، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة ١٤٠٩ هـ.
xv. شاكر خصباك "الأكراد: دراسة جغرافية اثنوغرافية"، مطبعة شفيق، بغداد ١٩٧٢.

xvi. شيخ الإسلام ، "مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية"، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية ٢٠٠٤.

xvii. شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية ، "مسألة في الكنائس"، مكتبة العبيكات، الرياض ١٩٩٥.

xviii. طه باقر،"مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة"، الطبعة الثالثة، دار الورّاق، بيروت ٢٠١٧، ص٣٥-٣٦.

xix. عبد الرسول الموسوي ، "الشيعة في التاريخ"، مكتبة مدبولي، القاهرة ٢٠٠٠ .

xx. عزيز سباهي ، "أصول الصابئة (المندائيين) ومعتقداتهم الدينية"، دار المدى، دمشق ٢٠٠٢.

xxi. علي الوردي ، "دراسة في طبيعة المجتمع العراقي"، مكتبة الفكر الحر، بغداد ٢٠١٨.

xxii. علي الوردي ، "لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث"، الجزء الأول، دار الراشد، بيروت ٢٠١٣.

xxiii. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، "القاموس المحيط"، الطبعة الثامنة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ٢٠٠٥.

xxiv. محمد باقر الصدر، "نشأة التشيع والشيعة"، الطبعة الثانية، تحقيق الدكتور عبد الجبار شرارة، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، بيروت ١٩٩٧

xxv. محمد جواد مغنية ، "الشيعة في الميزان"، الطبعة الرابعة، دار الكتاب الإسلامي، قم ٢٠٠٨.

xxvi. محمد حسين الطباطبائي ، "مختصر تفسير الميزان"، مؤسسة العطار الثقافية، النجف الاشرف ١٣٨١ هـ.

xxvii. "نهج البلاغة"، جمع: الشريف الرضي، شرح علي محمد علي دخيل، الطبعة الأولى، العتبة الكاظمية المقدسة ٢٠١٢.

المصادر باللغة الانكليزية:

(1) De Vos G., 'Ethnic Pluralism: Conflict and Accommodation', in 'Ethnic Identity: Cultural Continuities and Change', ed. G. De Vos and L. Kommanucci-Ross, Palo Alto California 1975.
(2) Donald Horowitz, 'Ethnic Groups in Conflict', Berkeley, University of California Press, 1985 .
(3) Volkan Vamik, 'Killing in the Name of Identity', Pitchstone Publishing, Virginia, 2006 .
(4) Simons Geoff, 'Iraq: From Sumer to Saddam' 2nd Edition, Macmillan, Basingstoke 1996.
(5) Williams Paul D (2013), 'Security Studies: An Introduction', Routledge, New York, 2013 .
(6) Persons, G, A. (1999) 'Race and Ethnicity in Comparative Perspective', Transaction Publishers, New Jersey,1999.
(7) Chandra Kanchan, 'Constructivist Theories of Ethnic Politics', Oxford University Press, New York, 2012.
(8) Timothy Sisk, 'Power Sharing and International Mediation in Ethnic Conflicts', United States Institute of Peace, Washington DC, 2002.